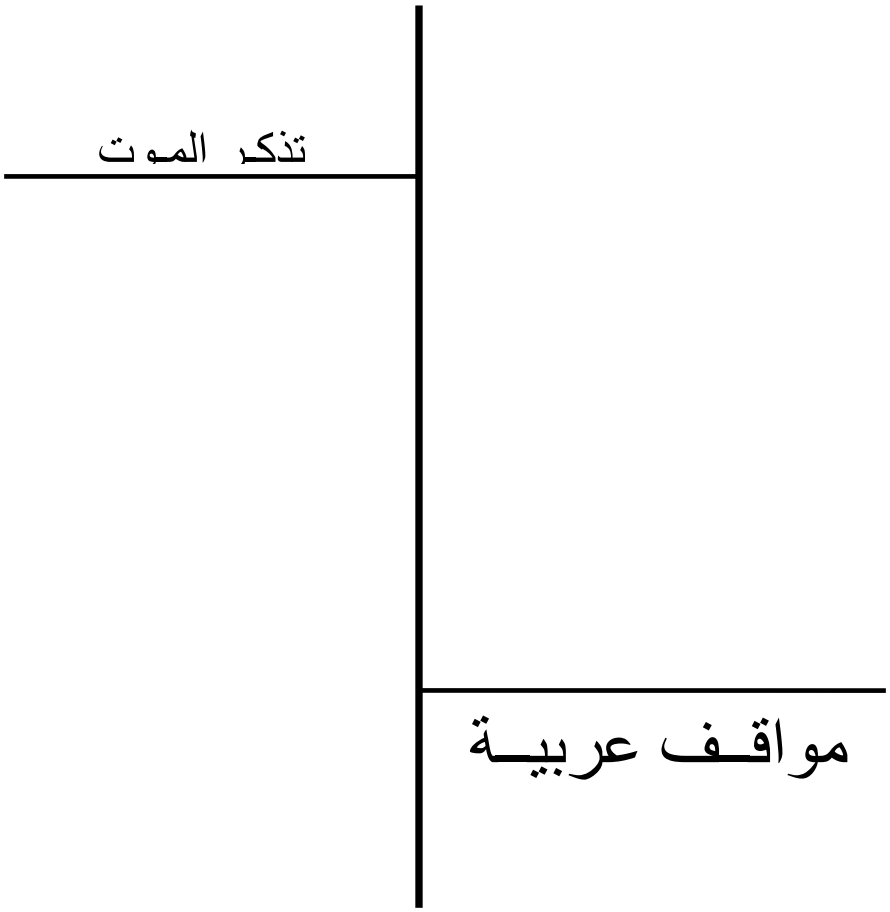
تذكر الموت
مواقف عربية

تذكر الموت

عن ابن عمر رضي الله عنه قال: أتيت النّبيّ ﷺ عاشر عشرة، فقام رجل من الأنصار، فقال: يا نبيّ الله، من أكيس [1] النّاس وأحزم النّاس؟

قال:"**أكثرهم ذكرا للموت، وأكثرهم استعدادا للموت، أولئك الأكياس ذهبوا بشرف الدّنيا وكرامة الآخرة**-[2].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنّ نبيّ الله ﷺ قال: "**استحيوا من الله حقّ الحياء ـــ**. فقلنا: يا نبيّ الله، إنّا لنستحيي. قال: "**ليس ذلك، ولكن من استحيا من الله حقّ الحياء فليحفظ الرّأس وما حوى، والبطن وما وعى، وليذكر الموت والبلى، ومن أراد الاخرة ترك زينة الدّنيا، ومن فعل ذلك فقد استحيا من الله حقّ الحياء**-[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"**استكثروا ذكر هاذم اللّذّات فإنّه ما ذكره أحد في ضيق إلاّ وسّعة ولا ذكره في سعة إلاّ ضيّقها عليهـــ**[4].

وعن أبي سعيد رضي الله عنه عن النّبيّ ﷺ :"**أنّ رجلا كان قبلكم رغسه** [5] **الله مالا، فقال لبنيه لمّا حضر: أيّ أب كنت لكم؟ قالوا: خير أب. قال فإنّي لم أعمل خيرا قطّ، فإذا متّ فأحرقوني، ثمّ اسحقوني ثمّ**

---

(1) أكيس الناس: أظرف وأفطن.

(2) المنذري في الترغيب (4/ 238) وقال: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت والطبراني في الصغير بإسناد حسن. ورواه ابن ماجه مختصرا بإسناد جيد، والبيهقي في الزهد، وذكره الهيثمي (10/ 309).

(3) الترمذي (2458) وقال المباركفوري في التحفة (7/ 155): أخرجه أحمد والحاكم والبيهقي. وقال المناوي: قال: الحاكم في المستدرك (4/ 323): واللفظ له هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وقال مخرج جامع الأصول (3/ 616) بعد أن ذكر كلام الحاكم: وهو كما قال.

(4) ذكره الهيثمي 10 (309) وقال: رواه الترمذي - ينظر في جامع الأصول - وغيره باختصار رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن، وكذلك من حديث ابن عمر وحديث أنس وغيره وعند المنذري (236/4) وقال مخرج جامع الأصول (3/ 616) بعد أن ذكر كلام الحاكم: وهو كما قال.

(5) رغسه: أي أكثر له وبارك له فيه.

ذرّوني في يوم عاصف. ففعلوا . فجمعه الله عز وجل **فقال: ما حملك؟ قال: مخافتك. فتلقّاه برحمته-**[1].

وعن أنس رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال:"**أكثروا من ذكر هاذم اللّذّات، الموت-**[2][3].

وعن بريدة. رضي الله عنه. قال: قال رسول الله ﷺ :"**قد كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فقد أذن لمحمّد في زيارة قبر أمّه، فزوروها، فإنّها تذكّر الآخرة-**[4].

وفي رواية مسلم وأبي داود والنّسائيّ: قال قال رسول الله ﷺ :"**نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها، ونهيتكم عن لحوم الأضاحي فوق ثلاث، فأمسكوا ما بدا لكم، ونهيتكم عن النّبيذ** [5]**. إلاّ في سقاء، فاشربوا في الأسقية كلّها، ولا تشربوا مسكرا-**[6].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي فقال: "**كن في الدّنيا كأنّك غريب أو عابر سبيل** ـــ. وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصّباح، وإذا أصبحت فلا

(1) البخاري - الفتح 6 (3478). مسلم (2757).
(2) هاذم اللذات: هاذم أي قاطع فمعناه مزيل الشيء من أصله. قال السّهيلى: الرواية بالمعجمة (الموت) أزجر عن المعصية وأدعى إلى الطاعة فإكثار ذكره سنة مؤكدة، وقال الحفني: هاذم أي مفرق ومشتت اللذات، وبالمهملة مزيل الشيء من أصله كهدم الجدار. يأمر ض أن يتذكر المسلمون الموت دائما، فكل نفس ذائقته ليقل الطمع والشره على جمع الدنيا ولتؤدى الحقوق كاملة تامة، وليكثر الإنسان من الأعمال الصالحة ادخارا لثواب الله، وليقصر الأمل في اتساع الثروة وتشييد القصور، وغيرها من الأشياء التي تجلب الغفلة عن الله تعالى.
(3) رواه الترمذي (2307) وقال: حديث حسن غريب، والنسائي (4/ 4)، وابن ماجه (4258). قال محققﷺجامع الأصول " (11/ 14): وهو حديث حسن لشواهده الكثيرة.
(4) هذه رواية الترمذي (1066).
(5) وكنت نهيتكم عن النبيذ: يعني إلقاء التمر ونحوه في ماء الظروف، إلا في سقاء، أي إلا في قربة، إنما استثناها لأن السقاء يبرد الماء، فلا يشتد ما يقع فيه اشتداد ما في الظروف.
(6) مسلم (977).

تنتظر المساء وخذ من صحّتك لمرضك، ومن حياتك لموتك[1].

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر ولمّا يلحد بعد، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأنّما على ر ؤوسنا الطّير، وبيده عود ينكت[2] به في الأرض، فرفع رأسه فقال: "**استعيذوا بالله من عذاب القبر مرّتين، أو ثلاثا**ـــ. زاد في رواية: وقال: "**إنّ الميّت ليسمع خفق نعالهم إذا ولّوا مدبرين حين يقال له: يا هذا، من ربّك؟ وما دينك؟ ومن نبيّك؟**ـــ. وفي رواية: "**ويأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له: من ربّك؟ فيقول: ربّي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرّجل الّذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله، فيقولان له: وما يدريك؟ فيقول: قرأت كتاب الله، فآمنت به وصدّقت**ـــ.

زاد في رواية: "**فذاك قوله:** ـــ{ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ } [إبراهيم: ٢٧]، **ثمّ اتّفقا: فينادي مناد من السّماء: أن قد صدق عبدي، فأفرشوه من الجنّة، وألبسوه من الجنّة، وافتحوا له بابا إلى الجنّة، فيأتيه من روحها وطيبها، ويفتح له في قبره مدّ بصره، وإنّ الكافر... فذكر موته** ـــ. قال: "**وتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له: من ربّك؟ فيقول: هاه هاه**[3]، **لا أدري، فيقولان: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرّجل الّذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري، فينادي مناد من السّماء: أن كذب، فأفرشوه من النّار، وألبسوه من النّار، وافتحوا له بابا إلى النّار، فيأتيه من حرّها وسمومها، ويضيّق عليه قبره حتّى تختلف فيه أضلاعه**-وزاد في رواية: "**ثمّ يقيّض له أعمى أبكم**[4]، **معه مرزبة من حديد لو ضرب بها جبل لصار ترابا، فيضربه بها ضربة يسمعها من**

(1) البخاري - الفتح 11 (6416).
(2) ينكت: نكت في الأرض بيده وبقضيب: إذا أثر فيها بذلك.
(3) هاه هاه: من عادة المشدوه الحائر إذا خوطب أن يقول: هاه هاه، كأنه يستفهم عما يسأل عنه.
(4) أبكم: الأبكم: الذي خلق أخرس.

بين المشرق والمغرب، إلاّ الثّقلين، فيصير ترابا، ثمّ تعاد فيه الرّوح-[1].

وعن مطرّف بن عبد الله بن الشّخّير - رحمه الله - قال: القبر منزل بين الدّنيا والاخرة، فمن نزله بزاد ارتحل به إلى ا لآخرة، إن خيرا فخير وإن شرّا فشرّ.

- عن أبي معاوية قال: ما لقيني مالك ابن مغول إلاّ قال لي: لا تغرّنّك الحياة واحذر القبر أنّ للقبر شأنا.

- روى أبو نعيم الحافظ بإسناده؛ أنّ عمر بن عبد العزيز شيّع مرّة جنازة من أهله، ثمّ أقبل على أصحابه ووعظهم، فذكر الدّنيا فذمّها وذكر أهلها، وتنعّمهم فيها، وما صاروا إليه بعدها من القبور، فكان من كلامه أنّه قال:"إذا مررت بهم فنادهم إن كنت مناديا، وادعهم إن كنت داعيا، ومرّ بعسكرهم، وانظر إلى تقارب منازلهم، سل غنيّهم: ما بقي من غناه؟ وسل فقيرهم: ما بقي من فقره؟ واسألهم عن الألسن الّتي كانوا بها يتكلّمون، وعن الأعين الّتي كانوا للّذّات بها ينظرون، وسلهم عن الجلود الرّقيقة والوجوه الحسنة والأجساد النّاعمة ما صنع بها الدّيدان تحت الأكفان، وأكلت اللّحيان [2] وعفرت الوجوه، ومحيت المحاسن وكسرت الفقار، وبانت الأعضاء، ومزّقت الأشلاء، وأين حجابهم وقبابهم؟ وأين خدمهم وعبيدهم وجمعهم وكنوزهم (وكأنّهم) ما وطئوا فراشا، ولا وضعوا هنا متّكأ ولا غرسوا شجرا ولا أنزلوهم من اللّحد قرارا، أليسوا في منازل الخلوات؟ أليس اللّيل والنّهار عليهم سواء؟ أليسوا في مدلهمّة ظلماء، قد حيل بينهم وبين العمل وفارقوا الأحبّة، وكم من ناعم وناعمة أضحوا ووجوهم بالية، وأجسادهم من أعناقهم بائنة، وأوصالهم ممزّقة، وقد سالت الحدق على الوجنات، وامتلأت الأفواه دما وصديدا، ودبّت دوابّ الأرض في أجسادهم، ففرّقت أعضاءهم، ثمّ لم يلبثوا إلاّ يسيرا حتّى عادت العظام رميما، فقد فارقوا الحدائق وصاروا بعد السّعة إلى المضائق، قد تزوّجت

(1) أبو داود برقم (3212)، (4753)، (4754) وقال محقق جامع الأصول " (11/ 179): إسناده حسن. وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود (3/ 902) صحيح. وأصله عند البخاري ومسلم.

(2) اللّحيان - بالفتح -: حائطا الفم وهما العظمان اللذان فيهما الأسنان من داخل الفم.

نساؤهم، وتردّدت في الطّرق أبناؤهم، وتوّزعت القرابات ديارهم وقراهم فمنهم والله الموسّع له في قبره الغضّ النّاظر فيه المتنعّم بلذّاته، يا ساكن القبر غدا ما راض وترد عليه الحوض وتلقى أصحابك. قال: فقال سلمان: أما إنّي لا أبكي جزعا من الموت ولا حرصا على الدّنيا ولكنّ رسول الله ﷺ عهد إلينا عهدا حيّا وميّتا.

قال: لتكن بلغة أحدكم من الدّنيا مثل زاد الرّاكب وحولي هذه الأساودة [1]. قال: فإنّما حوله إجّانة [2] وجفنة [3] ومطهرة فقال له سعد: يا أبا عبد الله، اعهد إلينا بعهد نأخذ به بعدك. قال: فقال: يا سعد، اذكر الله عند همّك إذا هممت وعند يدك إذا قسمت وعند حكمك إذا حكمت[4].

وعن خالد بن أحمد بن أسد قال:

أخذت بيدي عليّ بن جبلة يوما فأتينا أبا العتاهية فوجدناه في الحرم فانتظرناه فلم يلبث أن جاء فدخل عليه إبراهيم بن مقاتل بن سهل وكان جميلا فتأمّله أبو العتاهية وقال متمثّلا:

يا حسان الوجوه سوف تموتو ... ن وتبلى الوجوه تحت التّراب

فأقبل عليّ بن جبلة فقال: اكتب:

يا مربّي شبابه للتّراب ... سوف يمضي البلى بغضّ الشّباب
يا ذوي الوجوه الحسان المصونا ... ت وأجسامها الغضاض الرّطاب
أكثروا من نعيمها أو أقلّوا ... سوف تهدونها لعفر التّراب
قد نعتك الأيّام نعيا صحيحا ... بفراق الإخوان والأصحاب

(1) جاء في لسان العرب: الأساودة: جمع قلّة لسواد وهو الشخص. وصرّح أبو عبيد بأنه شخص كلّ شيء من متاع وغيره.
(2) الإجّانة بالتشديد: إناء يغسل فيه الثياب والجمع أجاجين.
(3) الجفنة: قصعة الطعام.
(4) الحاكم في المستدرك (4/ 317) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

فقال أبو العتاهية: قل يا حامد، قلت: معك ومع أبي الحسن، قال: نعم، فقلت:

يا مقيمين رحّلوا للذّهاب :: لشفير القبور وحطّوا الركاب
نعّموا الأوجه الحسان فما :: صونكموها إلاّ بعفر التّراب
والبسوا ناعم الثّياب ففى ال :: حفرة تعرون من جميع الثّياب
قد ترون الشّباب كيف يمو :: تون إذا استنضروا بماء الشّباب

وعن الحسن؛ قال: يومان وليلتان لم تسمع الخلائق بمثلهنّ قطّ: يوم تبيت مع أهل القبور ولم تبت ليلة قبلها، وليلة صبيحتها يوم القيامة ويوم يأتيك البشير من الله تعالى، إمّا بالجنّة أو النّار، ويوم تعطى كتابك بيمينك وإمّا بشمالك.

وقال بشر بن الحارث: نعم المنزل القبر لمن أطاع الله.

قال الأوزاعيّ - رحمه الله -: ما أكثر عبد ذكر الموت إلاّ كفاه اليسير.

قال ابن رجب - رحمه الله -: والله المسئول أن يجعلنا ممّن يبادر الفوت، ويراقب الموت ويتأهّب للرّحلة قبل الممات، وينتفع بما سمع من العظات بمنّه وكرمه.

وقال عديّ بن الرّعلاء:

ليس من مات فاستراح بميت :: إنّما الميت ميّت الأحياء
إنّما الميت من يعيش شقيّا :: كاسفا باله قليل الرّجاء
فأناس يمصّصون ثمادا (1) :: وأناس حلوقهم في الماء (2)

(1) الثّماد: الماء القليل.
(2) لسان العرب (2/ 91).

ولمّا انصرف النّاس من جنازة داود الطّائيّ - رحمه الله -، أنشد ابن السّمّاك - رحمه الله -:

انصرف النّاس إلى دورهم ... وغودر الميّت في رمسه
مرتهن النّفس بأعماله ... لا يرتجي الإطلاق من حبسه
لنفسه صالح أعماله ... وما سواها فعلى نفسه

وقال الشاعر:

قف بالمقابر وانظر إن وقفت بها ... لله درّك ماذا تستر الحفر؟
ففيهم لك يا مغرور موعظة ... وفيهم لك يا مغترّ معتبر

أنشد أبو جعفر القرشيّ:

تناجيك أجداث وهنّ سكوت ... وساكنها تحت التّراب خفوت
أيا جامع الدّنيا لغير بلاغه ... لم تجمع الدّنيا وأنت تموت؟

وعن الفضل بن مهلهل أخي الفضل وكان من العابدين قال:"كان جليس لنا حسن التّخشّع والعبادة يقال له: مجيب، وكان من أجمل الرّجال فصلّى حتّى انقطع عن القيام، وصام حتّى اسودّ، ثمّ مرض فمات، وكان محمّد بن النّضر الحارثيّ له صديقا ومات محمّد قبله قال: فرأيت محمّدا في منامي بعد موت مجيب فقلت: ما فعل أخوك مجيب قال لحق بعمله قلت: فكيف وجهه ذاك الحسن؟

قال: أبلاه والله التّراب. قال: وقلت: كيف وأنت تقول لحق بعمله؟ قال: يا أخي علمت أنّ الأجساد في القبور تبلى وأنّ الأعمال في الاخرة تحيا. قلت: يبلون حتّى لا يبقى منهم شيء ثمّ يجيئون يوم القيامة، إي والله يا أخي يبلون حتّى يصيروا رفاتا ثمّ يحيون عند الصّيحة، وأنشد بعضهم:

ما حال من سكن الثرى ما حاله؟ ... أمسى وقد رثت هناك حباله
أمسى ولا روح الحياة تصيبه ... أبدا ولا لطف الحبيب يناله
أمسى وقد درست محاسن ... وتفرّقت في قبره أوصاله

وجهه : وتقسّمت من بعده أمواله
واستبدلت منه المجالس غيره :: والمال يذهب صفوه وحلاله
ما زالت الأيّام تلعب بالفتى :
::
:
::
:

عن عمر بن ذرّ أنّه كان يقول في مواعظه: لو علم أهل العافية ما تضمّنته القبور من الأجساد البالية لجدّوا واجتهدوا في أيّامهم الخالية خوفا من يوم تتقلّب فيه القلوب والأبصار.

وقال النّضر بن المنذر لإخوانه: زوروا الاخرة بقلوبكم، وشاهدوا الموقف بتوهّمكم، وتوسّدوا القبور بقلوبكم، واعلموا أنّ ذلك كائن لا محالة، فاختار لنفسه (امرؤ) ما أحبّ من المنافع والضّرر.

وروى ابن أبي الدّنيا عن الحسن أنّه مرّ به شابّ، وعليه بردة له حسنة فقال: ابن آدم معجب بشبابه، معجب بجماله كأنّ القبر قد وارى بدنك وكأنّك لاقيت عملك، ويحك داو قلبك، فإنّ مراد الله إلى عباده صلاح قلوبهم.

شهد الحسن جنازة فاجتمع عليه النّاس، فقال: اعملوا لمثل هذا اليوم - رحمكم الله - فإنّما هم إخوانكم يقدمونكم، وأنتم بالأثر، أيّها المخلّف بعد أخيه إنّك الميّت غدا، والباقي بعدك الميّت في أثرك أوّلا بأوّل حتّى توافوا جميعا قد عمّكم الموت واستويتم جميعا في كربه وغصصه، ثمّ تخلّيتم إلى القبور، ثمّ تنشرون جميعا، ثمّ تعرضون على ربّكم عز وجل.

عن الحسن قال: أوذنوا بالرّحيل، وجلس أوّلهم على آخرهم وهم يلعبون.

وقال رجل لبعض السّلف: أوصني قال: عسكر الموتى ينتظرونك.

قال أبو العتاهية:

رويدك يا ذا القصر في شرفاته ... فإنّك عنه سوف تسحى (1)
ولا بدّ من بيت انقطاع ووحشة ... وتزعج
وإن غرّك البيت الأنيق المبهج

قال ابن أبي الدّنيا: أنشدني الحسين بن عبد الرّحمن:

لبيك لأهوال القيامة من بكى ... ولا تنسينّ القبر يوما ولا البلى
كفى حزنا يوما ترى فيه مكرما ... كرامته أن يرقدوا جسمه الثّرى

قال أحمد بن أبي الحواريّ: سمعت مضر بن عبس يقول: رحم الله قوما زاروا إخوانهم بقلوبهم في قبورهم وهم قيام في ديارهم، يشيرون إلى زيارتهم بالفكر في أحوالهم.

وقال ابن أبي الدّنيا، حدّثنا محمّد السّبغي قال: انتفض غنّام بن عليّ يوما وهو مع أصحابه فقال له بعضهم: ما الّذي أصابك؟ قال: ذكرت اللّحد.

عن مغيث الأسود الزّاهد؛ قال: زوروا القبور كلّ يوم تفكّركم.

حدّث محمّد بن خلف قال: سمعت أبي قال: رجعنا من ميّت مع ابن السّمّاك فأنشأ ابن السّمّاك يقول:

تمرّ أقاربي جنبات قبري ... كأنّ أقاربي لا يعرفوني
ذوو الأموال يقتسمون مالي ... ولا يألون أن جحدوا ديوني
وقد أخذوا سهامهم وعاشوا ... فيا لله ما أسرع ما نسوني

(1) تسحى: من سحوت الطّين عن وجه الأرض .. إذا جرفته، والفعل الماضي: سحا مضارعه مضموم العين، أو مفتوحها أو مكسورها: يسحو، يسحاه ويسحيه ومعناه: جرفه يجرفه وما في معناه: لسان العرب.

عن عقبة البزّار قال: رأى أعرابي جنازة فأقبل يقول: هنيئا يا صاحبها. فقلت: علام تهنّئه؟ قال: كيف لا أهنّئ من يذهب به إلى حبس جواد كريم، نزله عظيم، عفوه جسيم؟ قال: كأنّي لم أسمع القول إلاّ تلك السّاعة.

وقال بعضهم:

ولقد وقفت كما وقف ... ت وقد نظرت فما اعتبرت
حصّل لنفسك من ... زلا ... قبل الحصول كما حصلت

وأوصى بعض الوزراء أن يكتب (على سبيل الموعظة):

أيّها المغرور في الدّن ... يا بعزّ تقتنيه
وبأهل وبمال ... وبقصر تبتنيه
كم عليها قد سحبنا ... ذيل سلطان بتيه
تحسب الأقدار تجري ... بخلود ترتجيه
إذ طواك الموت طيّا ... فاعتبر ما نحن فيه

وأنشدوا:

خليليّ ما أفضي وما أنا قائل ... إذا جئت عن نفسي بنفسي أجادل؟
وقد وضع الرّحمن بالحشر عدله ... وسيق جميع النّاس واليوم باسل
وجيء بحزم النّار خاضعة له ... وثلّث عروش عندها وتجادل
فياليت شعري ذلك اليوم هل أنا ... ل الغفر أم أجزى بما أنا فاعل
فإن أك مجزيّا فعدل وحجّة ... وإن يك غفران ففضل ونائل

وقال بعضهم:

تزوّد قرينا من فعالك إنّما ... قرين الفتى في القبر ما كان يفعل
وإن كنت مشغولا بشيء فلا تكن ... بغير الّذي يرضى به الله تشغل
فلن يصحب الإنسان من بعد موته ... إلى قبره إلاّ الّذي كان يعمل
ألا إنّما الإنسان ضيف لأهله ... يقيم قليلا عندهم ثمّ يرحل

وقال بعضهم:

يا غافل القلب عن ذكر المنيّات ... عمّا قليل ستثوي بين أموات
فاذكر محلّك من قبل الحلول به ... وتب إلى الله من لهو ولذات
إنّ الحمام له وقف [1] إلى أمد [2] ... فاذكر مصائب أيّام وساعات
لا تطمئنّ إلى الدّنيا وزينتها ... قد حان للموت يا ذا اللّبّ أن يأتي [3]

و كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كثيرا ما يتمثل بهذه الأبيات:

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته ... يبقى الإله ويودي المال والولد
لم تغن عن هرمز يوما خزائنه ... و الخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان إذ تجري الرياح له ... و الإنس والجن فيما بينها ترد
أين الملوك التي كانت لعزتها ... من كل أوب إليها وافد يفد؟
حوض هنالك مورود بلا كذب ... لا بد من ورده يوما كما وردوا

و ذكر الموت يورث استشعار الانزعاج عن هذه الدار الفانية والتوجه

(1) الوقف: الحبس.
(2) الأمد: الأجل: أى إن الحمام - وهو الموت - محبوس إلى أجل يأتي فيه.
(3) أهوال القبور، ص 145.

في كل لحظة إلى الدار الآخرة الباقية ثم إن الإنسان لا ينفك عن حالتي ضيق وسعة ونعمة ومحنة فإن كان في حال ضيق ومحنة فذكر الموت يسهل عليه بعض ما هو فيه فإنه لا يدوم والموت أصعب منه أو في حال نعمة وسعة فذكر الموت يمنعه من الاغترار بها والسكون إليها لقطعه عنها ولقد أحسن من قال:

اذكر الموت هادم اللذات ⁝ و تجهز لمصرع سوف يأتي

وقال غيره:

واذكر الموت تجد راحة ⁝ في إذكار الموت تقصير الآمل

وأجمعت الأمة على أن الموت ليس له سن معلوم ولا زمن معلوم ولا مرض معلوم وذلك ليكون المرء على أهبة من ذلك مستعدا لذلك وكان بعض الصالحين ينادي بليل على سور المدينة: الرحيل الرحيل فلما توفي فقد صوته أمير المدينة فسأل عنه فقيل: إنه قد مات فقال:

ما زال يلهج بالرحيل وذكره ⁝ حتى أناخ ببابه الجمال
فأصابه متيقظا متشمرا ⁝ ذا أهبة لم تلهه الآمال

وكان يزيد الرقاشي يقول لنفسه: ويحك يا يزيد من ذا يترضى عنك ربك الموت؟ ثم يقول: أيها الناس ألا تبكون وتنوحون على أنفسكم باقي حياتكم؟ من الموت طالبه والقبر بيته والتراب فراشه والدود أنيسه وهو مع هذا ينتظر الفزع الأكبر يكون حاله؟ ثم يبكي حتى يسقط مغشيا عليه

وقال التيمي: شيئان قطعا عني لذة الدنيا: ذكر الموت وذكر الموقف بين يدي الله تعالى وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يجمع العلماء فيتذاكرون الموت والقيامة والآخرة فيبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة

وقال أبو نعيم: كان الثوري إذا ذكر الموت لا ينتفع به أياما فإن سئل عن شيء قال: لا أدري لا أدري وقال أسباط: ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم رجل فأثنى عليه فقال عليه السلام : " كيف ذكره للموت؟ فلم يذكر ذلك عنه فقال: ما هو كما تقولون ".

وقال الدقاق: من أكثر من ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء: تعجيل التوبة وقناعة القلب ونشاط العبادة ومن نسي الموت عوقب بثلاثة أشياء: تسويف التوبة وترك الرضى بالكفاف والتكاسل في العبادة فتفكر يا مغرور في الموت وسكرته وصعوبة كأسه ومرارته فيما للموت من وعد ما أصدقه ومن حاكم ما أعدله كفى بالموت مقرحا للقلوب ومبكيا للعيون ومفرقا للجماعات وهادما للذات وقاطعا للأمنيات فهل تفكرت يا ابن آدم في يوم مصرعك وانتقالك من موضعك وإذا نقلت من سعة إلى ضيق وخانك الصاحب والرفيق وهجرك الأخ والصديق وأخذت من فراشك وغطائك إلى عرر وغطوك من بعد لين لحافك بتراب ومدر فيا جامع المال والمجتهد في البنيان ليس لك والله من مال إلا الأكفان بل هي والله للخراب والذهاب وجسمك للتراب والمآب فأين الذي جمعته من المال؟ فهل أنقذك من الأهوال؟ كلا بل تركته إلى من لا يحمدك وقدمت بأوزارك على من لا يعذرك ولقد أحسن

من قال في تفسير قوله تعالى:{ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ } [القصص: ٧٧]، أي: اطلب فيما أعطاك الله من الدنيا الدار الآخرة وهي الجنة فإن حق المؤمن أن يصرف الدنيا فيما ينفعه في الآخرة لا في الطين والماء والتجبر والبغي فكأنهم قالوا: لا تنس أنك تترك جميع مالك إلا نصيبك الذي هو الكفن ونحو هذا قول الشاعر:

نصيبك مما تجمع الدهر كله: ⁝ رداءان تلوى فيهما وحنوط

وقال آخر:

هي القناعة لا تبغي بها بدلا ⁝ فيها النعيم وفيها راحة البدن
انظر لمن ملك الدنيا بأجمعها ⁝ هل راح منها بغير القطن والكفن؟

فصل: وقوله عليه الصلاة والسلام: " الكيس من دان نفسه " دان حاسب وقيل: ذل قال أبو عبيد: دان نفسه: أي أذلها واستعبدها يقال: دنته أدينه إذ ذللته فيذل نفسه في عبادة الله سبحانه وتعالى عملا يعده لما بعد الموت ولقاء الله تعالى وكذلك يحاسب نفسه على ما فرط من عمره ويستعد

لعاقبة أمره بصالح عمله والتنصل من سالف زلَهِ وذكر الله تعالى وطاعته في جميع أحواله فهذا هو الزاد ليوم المعاد والعاجز ضد الكيس والكيس: العاقل والعاجز: المقصر في الأمور فهو مع تقصيره في طاعة ربه واتباع شهوات نفسه متمن على الله أن يغفر له وهذا هو الاغترار فإن الله تعالى أمره ونهاه وقال الحسن البصري: " إن قوما آلهتهم الأماني حتى خرجوا من الدنيا وما لهم حسنة ويقول أحدهم: إني أحسن الظن بربي وكذب لو أحسن الظن لأحسن العمل " وتلا قوله تعالى:{ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾} [فصلت: ٢٣]، وقال سعيد بن جبير: " الغرة بالله أن يتمادى الرجل بالمعصية ويتمنى على الله المغفرة ".

من فوائد (تذكر الموت):

- إنّ تذكّر الموت بصورة دائمة يجعل المسلم يعطي كلّ لحظة حقّها من الواجب، ويبتعد عن المخالفات الشّرعيّة.

- ويجعل المؤمن يعمل في حياته ما يدوم له أجره بعد موته.

- بما أنّ الموت حتم على كلّ حيّ وتبدأ بعده مرحلة السّؤال والحساب فلا بدّ من التّذكّر والتّدبّر قبل فوات الأوان.

- كثير من النّاس وعلى مرّ التّاريخ يسعفهم الله بالحظّ ويمدّ لهم الأسباب فتتوفّر لهم الحماية الصّحّيّة والسّعادة الدّنيويّة فيستبعدون ذكر الموت من حسابهم فيبطشون ويتجبّرون ثمّ تقع الطّامّة عليهم فلا يجدون عدلا ولا صرفا وهؤلاء لا ينبغي أن يغترّ بما هم فيه.

- أحزم النّاس وأملكهم لشأنه أكثرهم ذكرا واستعدادا للموت.

- تذكّر الموت يدفع المرء إلى الحياء من الله فلا يقارف المعصية.

- إنّ من أشدّ الحياء من الله عز وجل تذكّر الموت والعمل لما بعده.

- موت المسلم وغسله وتكفينه والصّلاة عليه وحمله إلى المقابر ودفنه كلّها مظاهر تذكير وإنذار لكلّ أحد بأنّ هذا مصيره ولا يأخذ معه إلاّ ما قدّم من خير أو شرّ.

ومن المواقف:

ذكر ثم تموت:

عن مسلم بن الحجاج من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام فقال له أجب ربك فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها فرجع الملك إلى الله عز وجل فقال إنك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت وقد فقأ عيني قال فرد الله عليه عينه وقال ارجع إلى عبدي فقل له الحياة تريد فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور فما وارت يدك من شعرة فإنك تعيش بها سنة قال ثم مه قال ثم تموت قال فالآن من قريب رب أدنني من الأرض المقدسة رمية حجر قال رسول الله ﷺ فوالله لو أني عنده لأريتكم قبره إلى جنب الطريق عند الكثيب الأحمر.

إليه فيا ليت ما كان:

وروى أن عيسى عليه السلام مر برأس ميت فضربه برجله وقال تكلم بإذن الله تعالى فتكلم وقال يا روح الله أنا ملك زمان كذا وكذا بينا أنا جالس على سرير ملكي علي تاجي وحولي حشمي وخدمي وجندي إذ تبدى لي ملك الموت فزال مني كل عضو على حياله وخرجت نفسي إليه فيا ليت ما كان من تلك الجموع كان فرقة ويا ليت ما كان من ذلك الأنس وحشة.

فأنت إذن والله ملك الموت:

ويروى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال كان داود عليه السلام رجلا غيورا وكان إذا خرج غلق الأبواب فغلق ذات يوم أبوابه وخرج فأشرفت امرأته فإذا برجل في الدار فقالت من ادخل هذا دارنا لئن جاء داود فرآه ليلقين منه عنتا فجاء داود فرآه فقال من أنت فقال أنا الذي لا أهاب الملوك ولا يمنعني الحجاب قال فأنت إذن والله ملك الموت ثم قبض روحه [1].

لكان حسبه:

ويروى عن ابن عباس رضي الله عنه قال كان إبراهيم عليه السلام غيورا وكان له بيت يتعبد فيه فإذا خرج أغلقه فخرج ذات يوم بعدما أغلق

(1) العاقبة في ذكر الموت، ص 139.

بابه فإذا هو برجل في جوف البيت فقال له من أدخلك دارنا قال ادخلنيها ربها فقال أنا ربها قال ادخلنيها من هو أملك لها منك فقال له إبراهيم من أنت من الملائكة قال ملك الموت فقال له هل تستطيع أن تريني الصورة التي تقبض فيها روح المؤمن قال نعم فأعرض عني فأعرض عنه فإذا هو بشاب فذكر من حسن وجهه وطيب ريحه فقال يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن عند الموت إلا صورتك لكان حسبه ثم قبض روحه[1].

هذه الحاجة أهم حوائجي:

قال وهب بن منبه كان ملك من الملوك أراد الخروج إلى أرض له فلبس أحسن ثيابه وركب إفره دوابه وخرج في خاصته وجنوده ورجاله فنفخ الشيطان فيه نفخة ملأه كبرا وعجبا فكان يمشي ولا يلتفت إلى أحد من الناس كبرا وإعجابا بنفسه فتصدى له رجل رث الهيئة فسلم عليه فلم يرد عليه السلام ولا التفت إليه فأخذ بلجام دابته فقال له ويلك لقد تعاطيت أمرا عظيما كف يدك عن اللجام فقال له أنا ملك الموت فتغير لون الملك ودهش واضطرب لسانه وقال سألتك إلا ما تركتني حتى أرجع إلى أهلي وأودعهم وأقضي حاجتي منهم فقال لا والله لا رأيت أهلك أبدا وقبض روحه فخر كخشبة ملقاة.

ثم لقي آخر في مثل حاله إلا أنه كان متواضعا فتعرض له فسلم عليه فرد عليه السلام فقال له إن لي إليك حاجة وأريد أن أذكرها لك في أذنك فقال هات فأعطاه أذنه قال أنا ملك الموت فقال له مرحبا بمن طالت غيبته علي فوالله ما كان غائب أحب إلي من أن ألقاه منك فقال له ملك الموت اقض حاجتك التي خرجت إليها قال لا هذه الحاجة أهم حوائجي ومالي حاجة أهم علي ولا أحب إلي من لقاء الله عز وجل قال فاختر على أي حالة تريد أن أقبض روحك قال وتقدر على ذلك قال بذلك أمرت قال فدعني حتى أتوضأ وأصلي وتقبل روحي وأنا ساجد قال نعم فتوضأ وصلى ثم قبض روحه في سجوده.

هيهات انقطعت المهلة:

(1) العاقبة في ذكر الموت، ص 139.

وقال بكر بن عبد الله جمع رجل من بني إسرائيل مالا فلما أشرف على الموت قال لبنيه أروني أصناف أموالي التي جمعت فأتي بشيء كثير فلما رآه بكى تحسرا فقال له ملك الموت ما يبكيك فوالله ما أنا بخارج من منزلك حتى أفرق بين روحك وبدنك فقال له أمهلني حتى أفرقه قال هيهات انقطعت المهلة فهلا كان هذا قبل حضور أجلك ثم قبض روحه[1].

لعنك الله من مال:

ويروى أن رجلا جمع مالا فأوعى ولم يدع صنفا من أصناف المال إلا اتخذه ثم ابتنى قصرا وجعل عليه حجابا وحراسا ثم جمع أهله وعياله وصنع لهم طعاما وقعد على سريره ووضع إحدى رجليه على الأخرى وهم يأكلون ثم قال يا نفسي تنعمي سنين فقد جمعت لك ما يكفيك فما فرغ من كلامه حتى أقبل ملك الموت في هيئة رجل عليه خلقان من الثياب فقرع الباب بشدة عظيمة فوثب إليه الغلمان فقالوا له ويلك ما شأنك ومن أنت فقال ادعوا إلي مولاكم قالوا إلى مثلك يخرج مولانا قال نعم فأخبروا مولاهم فقال هلا فعلتم به وفعلتم فقرع الباب قرعة أشد من الأولى فوثب إليه الحرس فقال أخبروه أني ملك الموت فلما سمعوه ألقى عليهم الرعب ووقع على مولاهم الذل والخشوع فقال قولوا له يدخل وقولوا له قولا لينا فدخل فقال له اصنع بمالك ما أنت صانع فإني لست بخارج عنك حتى أخرج بنفسك فأمر بماله فجمع فلما رآه قال لعنك الله من مال فأنت شغلتني عن عبادة ربي ومنعتني عن النظر لنفسي فأنطق الله عز وجل المال فقال لم تسبني وبي جلست مجالس الملوك وبي نكحت المتنعمات وبي فعلت وفعلت وكنت تنفقني في سبيل الشر فلا أمتنع منك ولو أنفقتني في سبيل الخير وطريق البر لنفعتك اليوم ثم قبض ملك الموت روحه فسقط ميتا.

فإلى أين أذهب؟:

وقال يزيد الرقاشي بينما جبار من جبابرة بني إسرائيل في منزلة قد خلا ببعض أهله إذ رأى شخصا قد دخل عليه من باب بيته فوثب عليه مغضبا فقال له ويلك من أنت ومن أدخلك داري وما حملك على الهجوم

(1) العاقبة في ذكر الموت، ص 140.

علي في بيتي فقال له أما الذي أدخلني الدار فربها أنا الذي لا يمنعني الحجاب ولا استأذن على الملوك ولا أخاف صولة السلاطين فأسقط في يد الجبار وأرعد حتى سقط منكبا على وجهه ثم رفع رأسه إليه مستخذيا متذللا فقال له فأنت إذن ملك الموت قال أنا هو قال فهل أنت ممهلني حتى أحدث عهدا قال هيهات انقطعت مدتك وانقضت أنفاسك ونفدت ساعاتك فليس إلى إمهالك سبيل قال فإلى أين أذهب؟ قال إلى عملك الصالح الذي قدمت وإلى بيتك الحسن الذي مهدت قال فإني لم أقدم عملا صالحا ولا مهدت بيتا حسنا قال فإلى لظى نزاعه للشوى ثم قبض روح فسقط بين أهله فمن صارخة تصرخ وباكية تبكي.

قال يزيد ولو يعلمون سوء المنقلب لكان العويل أعظم والبكاء أكثر[1].

أترضى حالك هذه للموت؟:

ـ وقال عبد الله بن المبارك، قال عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية لرجل من إخوانه كان يجالسه: أترضى حالك هذه للموت؟ قال: لا، قال: فهل أنت مجمع على الانتقال إلى حال ترضاها للموت؟ قال: ما سخت نفسي بذلك بعد، قال: ويحك، فهل بعد الموت دار فيها معتمل؟ قال: لا، قال: فهل تأمن أن يأتيك الموت على حالك هذه؟ قال: لا، فقال: ما رأيت مثل هذه الحال رضي بها عاقل، فاتق الله يا أخي واعمل قبل أن تندم[2].

قد مات قوم وهم في الناس أحياء:

قال ابو بكر الخياط رأيت كأني دخلت المقابر فاذا اهل القبور جلوس على قبورهم بين ايديهم الريحان وإذا أنا بمعروف أبي محفوظ قائما فيما بينهم يذهب ويجئ فقلت أبا محفوظ ما صنع بك ربك أو ليس قدمت قال بلى ثم أنشأ يقول:

موت التقى حياة لا نفاذ لها :: قد مات قوم وهم في الناس أحياء :

(1) العاقبة في ذكر الموت، ص 142.
(2) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 38/5.

أحب أن أخرج من الدنيا عريانا كما دخلت اليها عريانا:

- قيل لمعروف الكرخي في علته أوص فقال إذا مت فتصدقوا بقميصي هذا فاني أحب أن أخرج من الدنيا عريانا كما دخلت اليها عريانا.

فعظم الله أجرك على موت قلبك:

- توفيت أم قاضي بلخ، فقال له حاتم الأصم: إن كانت وفاتها عظة لك فعظم الله أجرك على موت أمك، وإن لم تتعظ بها فعظم الله أجرك على موت قلبك.

هل رد الله عليك حكماً؟:

وقال له: أيها القاضي، منذ كم تحكم بين عباد الله؟ قال: منذ ثلاثين سنة، قال: هل رد الله عليك حكماً؟ قال: لا، قال: فإن الله لم يرد أحكامك في ثلاثين سنة وترد حكماً واحداً حكمه عليك.

فعظم الله أجرك على موت قلبك:

- توفيت أم قاضي بلخ، فقال له حاتم الأصم: إن كانت وفاتها عظة لك فعظم الله أجرك على موت أمك، وإن لم تتعظ بها فعظم الله أجرك على موت قلبك.

أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة:

- عن مجاهد في قوله تعالى: " أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة " الآية قال كان فيمن كان قبلكم امرأة وكان لها أجير فولدت جارية وقالت لأجيرها اقتبس لنا نارا فخرج فوجد بالباب رجلا فقال له الرجل ما ولدت هذه المرأة قال جارية فقال اما أن هذه الجارية لا تموت حتى تبغي بمائة ويتزوجها أجيرها ويكون موتها بالعنكبوت قال فقال الأجير في نفسه فأنا أريد هذه بعد أن تفجر بمائة لاقتلنها فاخذ شفرة فدخل فشق بطن الصبية وخرج على وجهه وركب البحر وخيط بطن الصبية فعولجت وبرأت وشبت فكانت تبغي فاتت ساحلا من سواحل البحر فاقامت عليه تبغي ولبث الرجل ما شاء الله ثم قدم ذلك الساحل ومعه مال كثير فقال لامرأة من أهل ساحل البحر ابغيني امرأة من أجمل الناس في القرية أتزوجها فقالت ها هنا امرأة من أجمل الناس وانها تبغي قال ائتني بها فأتتها فقالت قد قدم رجل له مال كثير وقال لي كذا وكذا فقلت كذا وكذا

فقالت إني قد تركت البغاء ولكن إن أراد تزوجته قال فتزوجها فوقعت منه موقعا فبينا هو يوم عندها إذ أخبرها بأمره فقالت أنا تلك الجارية وأرته الشق في بطنها وقد كنت أبغي فما أدري بمائة أو أقل أو أكثر قال فإنه قال لي يكون موتها بالعنكبوت قال فبنى لها برجا في الصحراء وشيده فبينما هما يوما في ذلك البرج إذا عنكبوت في السقف فقال هذا عنكبو ت فقالت: هذا يقتلني لا يقتله أحد غيري فحركته فسقط فوضعت إبهام رجلها عليه فشدخته وساخ سمه بين ظفرها واللحم فاسودت رجلها فماتت فنزلت هذه الآية:{ أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖ } [النساء: ٧٨] [1].

* * *

(1) حلية الأولياء، 3 / 288 - 295.